Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ - التوازن :

وهو قريب جدا من فكرة التعويض التى رأيناها عند دراستنا للمستوى الصرفى ، إذ يعتقد النحاة أنه لابد أن يكون هناك أحيانا نوع من التوازن فى الجملة العربية سواء فى نحوها أو فى بنائها .

فقد يعمد الراجز إلى خفض المضارع المجزوم كما فى قول زهير فى مطلع معلقته:

أمن أم أو فى دمنة لم تكلمِ بحومانة الدراج فالمتثلم

حيث اضطر إلى خفض (الميم) فى (لم تكلمِ) بدلا من جزمها ليس لأى سبب ما ، بل لكى تتفق هذه الميم المجرورة مع قافية القصيدة . ويعلل ثعلب ذلك بوجود علاقة قرابة بين الجزم والخفض حيث يقول : « فإن القوافى إذا حُرِّكت فى الجزم تحركت إلى الخفض لأن الخفض أخو الجزم » (٣٢) . وواضح أن فكرة « التآخى » هذه هى تصور عقلى لايمكن التثبت منه فى الواقع أوجده النحوى لكى يحقق نوعا من التوازن بين الحركات الإعرابية .

وإذا كان حفظ التوازن مطلوبا فى حركات الإعراب عند ثعلب ، فهو عند أحمد بن فارس مطلوب فى الكلام ككل ، فلا توجد ظاهرة « البسط » مثلا إلا ووجدت ظاهرة القبض محاذاة لها ، فمن المعروف أن الشعراء قد يبسطون فى حروف الاسم أو الفعل فيزيدون فيهما لإقامة الوزن أو المحافظة على القافية والعكس صحيح أيضا ، أى أنهم يقبضون فيحذفون منهما مايمكنهم من تحقيق هذين المطلبين . وهذا التعليل التجريبى كان كافيا للتعليل « للبسط والقبض » غير أن ابن فارس لم يكتف به واعتقد فى وجود علة عقلية وراء كل ذلك هى « المحافظة » التى تحقق نوعا من التوازن

---

(٣٢) ثعلب : مجالس ٥٥٣/٢ .